عرب وعالم

بعد يوم من إعلان إثيوبيا أنها بدأت سحب قواتها

مقتل سبعة في قتال للجماعات المتشددة بالصومال

©Reuters

مقديشو/14 أكتوبر/عبدي شيخ:
قال فصيل من الفصائل المسلحة المتنافسة في الصومال أن سبعة أشخاص على الأقل لاقوا حتفهم في القتال الدائر بين الفصائل المتشددة في الصومال أمس السبت.
واندلعت الاشتباكات بين المعتدلين نسبيا ومتشددي الشباب بعد يوم من إعلان إثيوبيا أنها بدأت سحب قواتها التي كانت تدعم حكومة انتقالية ضعيفة في الدولة الواقعة في القرن الإفريقي.
وقال الشيخ عبدالله أبو يوسف وهو قيادي في جماعة السنة والجماعة «هاجمتنا الشباب ثانية هذا الصباح ولكننا طاردناهم وقتلنا ستة منهم.»
وقال «الشباب قتلت احد شيوخنا بالقرب من مقديشو. سوف نقاتلهم إلى أن تنتهي رواية الشباب.»
وتتهم أهل السنة والجماعة الشباب وهي جماعة مدرجة على قائمة واشنطن للجماعات الإرهابية بتعقب وقتل الزعماء الدينيين وتدنيس المقابر وهي أعمال تقول أنها تخالف تعاليم الإسلام.
ويخشى السكان أن يتفاقم العنف في وقت سيترك فيه رحيل القوات الإثيوبية فراغا في السلطة ينطوي على مخاطر. وليس هناك مؤشرات على إرسال تعزيزات لدعم قوة افريقية لحفظ السلام قوامها 3200 جندي.
ويقول محللون انه بدون الإثيوبيين هناك تهديد بان يسيطر المتشددون على العاصمة مقديشو حيث تقع هجمات يومية.
غير أن دبلوماسيين يقولون أن رحيل القوات الإثيوبية قد يحد من تمرد الإسلاميين.
وهم يرون أيضا في استقالة الرئيس عبدالله يوسف هذا الأسبوع فرصة لتشكيل حكومة شاملة يمكنها أن تعمل باتجاه السلام. وتسحب إثيوبيا قواتها بسبب إحباطها من السياسات الصومالية التي تغلب عليها النزاعات.
وقال سكان في قرية في وسط الصومال بالقرب من الحدود مع إثيوبيا أنهم شهدوا قافلة من نحو 30 عربة إثيوبية تغادر مساء أمس الأول الجمعة.
وقال علي سيد هرسي وهو احد سكان قرية بالانبالي «كانوا في المنطقة خلال الأشهر القليلة الأخيرة يراقبون تحركات الإسلاميين في وسط الصومال. لم يتركوا شيئا هنا..أزالوا حتى خيامهم».

بارجة وغواصة للاحتلال قبالة سواحل غزة

المدفعية الإسرائيلية تقصف غزة في الأسبوع الثاني من العدوان

©Reuters

©Reuters

فلسطين المحتلة/14 أكتوبر/رويترز/وكالات:
قال شهود عيان على جانبي الحدود إن المدفعية الإسرائيلية قصفت قطاع غزة أمس السبت ما يشير إلى تصعيد محتمل من خلال استخدام تكتيك جديد بعد مرور أسبوع على بدء العدوان على غزة.
وقال شهود عيان فلسطينيون إن القصف تسبب في انفجار كبير في مدينة غزة وسلسلة من التفجيرات بطول الحدود مع إسرائيل.
ولم ترد على الفور أي أنباء عن عدد الضحايا وحجم الخسائر.
وعادة ما تستخدم إسرائيل قذائف مدفعية من عيار 155 مليمترا. وإذا استخدمت هذه القذائف بصورة متواصلة فقد يزيد ذلك من عدد القتلى المدنيين جراء الحملة العسكرية التي تشنها إسرائيل والتي راح ضحيتها حتى الآن 400 فلسطينيا على الأقل. وتقول إسرائيل إنها تحاول من خلال هذه الحملة وقف إطلاق الصواريخ من جانب حماس.
وحشدت إسرائيل قوات برية على الحدود مع غزة تحسبا لأي قرار بغزو المنطقة. وأشار محللون مستقلون إلى أن من بين العوامل التي قد تعوق تقدم الجيش القلق بشأن احتمال أن تكون حماس زرعت ألغاما أرضيا على الحدود.
إلى ذلك أفادت الأنباء من غزة أن بارجة وغواصة إسرائيليتين تتحركان قبالة سواحل غزة في وقت يزداد فيه الترقب باحتمال شن قوات الاحتلال حربا برية على القطاع.
وظهرت للمرة الأولى منذ بداية العدوان الإسرائيلي على غزة غواصة إسرائيلية في سواحل القطاع، واستهدفت زوارق حربية إسرائيلية بقذائف مرفأ الصيادين ومنطقة شمال غربي القطاع ما أدى إلى حدوث أضرار مادية دون تحديد إصابات.
وكانت غارات الطيران الحربي الإسرائيلي قد ركزت قصفها أمس على منازل شرق وشمال غزة إضافة لمواقع أمنية وعسكرية تابعة لكتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) في غزة وشمال رفح ومنطقة الأنفاق على الشريط الحدودي جنوبي القطاع.
وفي هذا الإطار استشهد فلسطيني في غارة إسرائيلية استهدفت المدرسة الأميركية شمال قطاع غزة.
وفي سياق متصل أكدت حماس استشهاد القيادي العسكري أبو زكريا الجمال متأثرا بجروح أصيب بها في غارة جوية إسرائيلية في الليل.
وقد ارتفع عدد الشهداء جراء العدوان الإسرائيلي المستمر على القطاع إلى 460 بعد استشهاد مقاومين اثنين من كتائب عز الدين القسام الليلة قبل الماضية، بينما بلغ عدد الجرحى نحو 2280.
ونفذت المقاتلات الإسرائيلية عشرات الغارات الجوية منذ بداية العدوان السبت الماضي دمرت ستين منزلا وعشرة مساجد، إضافة إلى إصابة مساجد أخرى بأضرار.
وذكرت وكالة تابعة للأمم المتحدة أن أكثر من ربع الذين استشهدوا في غزة مدنيون وقدرت جماعة حقوقية فلسطينية بأنهم يمثلون 40 % من الشهداء.
وكثفت قوات الاحتلال الإسرائيلي بموازاة ذلك حربها النفسية ضد سكان غزة بإلقاء منشورات وتوجيه رسائل نصية عبر الجوالات واختراق إذاعات فلسطينية وقناة الأقصى التلفزيونية لتهديدهم وتحذيرهم من التعاون مع المقاومة.
ومن جهتها تواصل مختلف فصائل المقاومة الفلسطينية استهداف بلدات ومدن جنوب إسرائيل بالصواريخ خلفت إلى الآن مقتل أربعة إسرائيليين وجرح آخرين.
وذكرت مصادر عسكرية إسرائيلية إن 15 صاروخا سقطت أمس على مناطق إسرائيلية أصابت اثنين بجراح في بلدتي عسقلان وأسدود.
وتتزامن هذه التطورات مع مواصلة إسرائيل حشد دباباتها على تخوم قطاع غزة في ظل احتمالات لشن حرب برية على القطاع.
وتبحث القوات الإسرائيلية عن عنصر المفاجأة للبدء في اجتياح بري، وأعدت حشودا عسكرية ضخمة على الحدود مع غزة.
وتشير التوقعات والمؤشرات الميدانية إلى أن التوغل سيكون في حال حدوثه محدودا لأسباب سياسية داخلية وخارجية.
وأعلنت حماس في وقت سابق أمس أنها صدت توغلا حاول أفراد في القوة الخاصة الإسرائيلية القيام به على الحدود مع قطاع غزة.
ومن جهته نفى متحدث باسم جيش الاحتلال الإسرائيلي ذلك قائلا إن «أي جندي لم يدخل إلى قطاع غزة منذ بداية الغارات الإسرائيلية» على القطاع.
وتوعد رئيس المكتب السياسي لحماس خالد مشعل أمس الأول بأسر عدد أكثر من الجنود الإسرائيليين إذا شنت تل أبيب هجوما بريا على قطاع غزة مؤكدا «أن المقاومة بخير ولم تخسر إلا القليل» في الهجمات الإسرائيلية.

المالكي: العراق لن يسمح باستخدام أراضيه لتهديد جيرانه

التفجير الأخير في العراق يؤكد على تنامي دور العشائر

قره غول/بغداد/طهران/14 أكتوبر/حيدر صلاح الدين:
دفن رجال العشائر قتلاهم جنوبي بغداد أمس السبت بعد أن قتل انتحاري 23 شخصا على الأقل في حادث يؤكد على تنامي دور العشائر فيما تقترب الانتخابات المحلية.
واستهدف الانتحاري تجمعا في مأدبة غداء تهدف إلى توحيد عشيرة القره غولي وكثير منهم يعيشون في قرية قره غول جنوبي العاصمة. ودعي أفراد العشيرة من أجزاء أخرى من العراق وحضر الحدث مرشحون سياسيون.
وأظهرت لقطات مصورة عقب التفجير مشاهد من الفوضى في حديقة خارج منزل الشيخ محمد عبد الله صالح حيث كانت الجثث وقطع اللحم البشري متناثرة وسط العشرات من الكراسي البلاستيكية التي كانت موجودة من أجل المأدبة.
وقال جاسم محمد رئيس بلدية القرية إن الحشد كان يهدف إلى جمع شمل زعماء العشيرة في الشمال والجنوب من أجل توحيدهم. ولكن الهجوم وقع مسببا مقتل عدد من «إخوتنا».
وتشهد البنى العشائرية تناميا في العراق ومن المتوقع أن تزداد قوة في الانتخابات الإقليمية التي ستجرى في 31 يناير على حساب الأحزاب السياسية التي تعتمد على الطائفية والتي اقتسمت القوة بعد انهيار نظام صدام حسين.
وفي المناطق السنية لعبت العشائر دورا حاسما في تقليل العنف في العراق من خلال الانقلاب على متشددي القاعدة السنة في عامي 2006 و2007. وفي مناطق أخرى أقامت حكومة رئيس الوزراء نوري المالكي مجالس عشائرية مما أدى في بعض الأحيان إلى إغضاب الأحزاب الشيعية والكردية.
ويقول زعماء سياسيون إنه إذا ما تنامى الدور السياسي للعشائر والقبائل العراقية فإن ذلك من شأنه أن يساعد في تخفيف الانقسامات العرقية والطائفية التي اتسمت بها الساحة السياسية العراقية وغذت أعمال العنف الدامية.
وعشيرة القره غولي التي استهدفت في هجوم أمس الأول عشيرة سنية بالأساس ولكن أفرادها في جنوب البلاد شيعة. وهم يتحدثون العربية ويعدون أنفسهم عربا ولكن اسم العشيرة من أصل تركي. وأعربت الأحزاب التي تمثل الأغلبية التركمانية تضامنها عقب الهجوم.
على صعيد آخر قال رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي الذي بدأ أمس السبت زيارة إلى إيران للتلفزيون الرسمي الإيراني إن حكومته لن تسمح بأن يستخدم العراق قاعدة لتهديد جيرانه.
وقالت قناة العالم الإخبارية الإيرانية الناطقة باللغة العربية في موقعها على شبكة الأنترنت إن المالكي صرح لها أمس بأن العراق لن يسمح بأن تستخدم أراضيه نقطة انطلاق لتهديد أي دولة.
وأصبحت القوات الأمريكية في العراق تعمل تحت سلطة العراق اعتبارا من أول يناير وهي خطوة قال المالكي إنها أعادت السيادة للعراق بعد قرابة ست سنوات من إطاحة غزو قادته الولايات المتحدة بالرئيس العراقي الراحل صدام حسين.

©Reuters

ودخلت إيران في نزاع مع الولايات المتحدة حول خططها النووية حيث رفضت واشنطن استبعاد الحل العسكري إذا فشلت الدبلوماسية في إنهاء النزاع. وتتهم واشنطن وحلفاؤها إيران بالسعي للحصول على أسلحة نووية وهو اتهام تنفيه طهران.
ويقول محللون إن أي هجوم أمريكي على إيران سيتضمن على الأرجح غارات جوية وليس غزوا بريا. واستخدمت واشنطن قواعدها في دول إقليمية لمهاجمة العراق عام 2003.
وتبادلت واشنطن وطهران الاتهامات حول المسؤولية عن العنف في العراق. ويقول مسئولون أمريكيون إن إيران تدعم الميليشيات العراقية. وتلقي طهران باللائمة على وجود القوات الأمريكية في العراق وتقول إنها يجب أن تنسحب من العراق والمنطقة كلها.
وحثت بغداد الجانبين كثيرا على عدم استخدام العراق كأرض للمعركة بينهما بالوكالة. وتراجع مستوى العنف في العراق في الآونة الأخيرة لكن الهجمات الفتاكة بالقنابل والأسلحة النارية لا تزال مستمرة.
وأكد المالكي أيضا أن العراق سيفتح كل الملفات العالقة مع الدول المجاورة وغيرها في سبيل بناء علاقات سليمة معها. وأضاف أن العراق سيصبح محورا للعلاقات الايجابية مع إيران.
وقالت الحكومة العراقية يوم الأربعاء إنها ترغب في رحيل 3500 عضو من منظمة مجاهدي خلق الإيرانية المعارضة من معسكر أشرف شمالي بغداد.
وتعتبر إيران هذه الجماعة منظمة إرهابية ويعارضها العديد من الإيرانيين لأنها انحازت إلى جانب الرئيس العراقي الراحل صدام حسين أثناء الحرب العراقية الإيرانية في الثمانينات من القرن العشرين. ويقول محللون إنه من الصعب تقدير حجم الدعم الذي تحظى به المنظمة داخل إيران.

إسرائيل انتهكت الهدنة وحرقت الأطفال

انتقدت الكاتبة سارة روي في مقال نشرته صحيفة (كريستيان ساينس مونيتور)الأميركية الهجوم على غزة والسياسة الإسرائيلية المتبعة ضد الفلسطينيين، وارتأت أن الإسرائيليين هم الذين انتهكوا الهدنة مع حماس ما أدى إلى رد الأخيرة الصاروخي.
واستهلت الكاتبة بالقول إنها تسمع أصوات أصدقائها في غزة بوضوح تام وكأنها لا تزال معهم على الهاتف، وإن أناتهم وآلامهم لا تزال تترك صدى في داخلها، فهم يبكون مقتل أطفالهم، الذين من بينهم فتيات صغار في مثل عمر بناتها، وأجسادهن محروقة ومشوهة عبثا بلا أي معنى.
وذكرت سؤال إحدى صديقاتها الفلسطينيات لها «لماذا بدأ الإسرائيليون الهجوم بينما كان الأطفال يغادرون المدارس وكانت الأمهات في الأسواق؟» مشيرة إلى التقارير التي أفادت بأن بعض الآباء والأمهات الفلسطينيين كانوا يبحثون عن جثث أطفالهم في المستشفيات التي غصت بالقتلى والجرحى.
ومضت بالقول إن اليهود البارحة كانوا يحتفلون بعيد «هانوكاه» أو عيد الأنوار اليهودي الذي يبشر بالعودة للحياة، لكنها تساءلت «كيف لي أن احتفل بينما الفلسطينيون يتعرضون للقتل؟».
وتساءلت الكاتبة فيما إذا كان «ميثاق اليهود مع الرب» يكون حاضرا عند قيامهم بقمع واضطهاد وقتل الفلسطينيين؟ موضحة أنه حتى أولئك المحظوظون من الفلسطينيين في غزة، هم محاصرون وحبيسو منازلهم منذ زمن بعيد وسط أجواء الجوع والعطش وانقطاع الكهرباء.
وقالت الكاتبة -وهي الباحثة في مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد- إن إسرائيل هي التي انتهكت الهدنة مع الفلسطينيين منذ الرابع من نوفمبر الماضي، عندما بدأت بمهاجمة حماس، ما أدى إلى التصعيد الراهن بعد قيام الأخيرة بإطلاق الصواريخ تجاه إسرائيل.
وعبرت عن دهشتها في إعلان إسرائيل استهدافها مواقع عسكرية تابعة لحماس، متسائلة: كيف نفسر ذلك للفلسطينيين الذين يفقدون أطفالهم؟
وأشارت إلى أن إسرائيل هي التي أغلقت جميع المعابر في الخامس من نوفمبر الماضي ما أدى إلى تخفيض كبير أو حتى حرمان الفلسطينيين من الإمدادات الغذائية والأدوية والوقود وغاز الطهي، وقطع الغيار اللازمة لشبكات المياه والصرف الصحي.
وقالت الكاتبة وهي مؤلفة «السلام الفاشل» بشأن الصراع في غزة، إنه لم يسبق لها أن شاهدت مثل تلك الصور المروعة لأجساد الأطفال الفلسطينيين المشوهة والمحروقة في غزة منذ أكثر من 25 سنة من الصراع، موضحة أن تلك الصور بالنسبة للفلسطينيين ليست مجرد صور مرعبه عابرة، بل هو واقع يعيشونه ولا يمكن تحمله.
وتساءلت: لماذا لا يتكلم أحد عن المصالحة باعتبارها الطريق إلى التحرير أو عن التعاطف بوصفه مصدرا للتفاهم؟ وأين يمكن إيجاد مناخ من التفاهم نحو العيش المشترك؟
وهل الحل يكمن في أن الاحتلال والسيطرة على أرض المرء وبيته ومصدر رزقه وتجاهل عواطفه واحتقار مطالبه؟ أم بقتل أطفاله وتشوهيهم؟ فماذا يحدث لمجتمع نغلق أمامه كل الطرق والآمال والاحتمالات؟
ومضت تتساءل: ولماذا لم يتمكن الإسرائيليون من قبول الفلسطينيين والتعايش معهم؟ لما نرفض التواصل مع الشعب الذي نقمعه، لماذا نرفض الآخر؟ فرفضنا للآخر يمثل تراجعا لنا.
واختتمت روي بالقول إنه يجب علينا «نحن اليهود» إشراك الفلسطينيين وغيرهم من الشعوب العربية في فهم التاريخ اليهودي، وعلينا مراجعة أنفسنا بدلا من استمرارنا بخيانة «التقاليد اليهودية».
فالمثقفون اليهود يعارضون العنصرية والقمع والظلم في كل مكان تقريبا في العالم، وأما «انتصارات إسرائيل» فهي فادحة التكاليف وباهظة الثمن وتعبر عن قصور كبير، مثل عدم قدرتنا على العيش بلا جدران من حولنا، فهل تلك الجدران هي حياتنا بعد «المحرقة»؟
كيف لنا التخلص من الوحشية والدناءة؟ كيف لنا أن نتخلص من الخوف ونتصور شيئا مختلفا؟ والإجابة عن كل تلك الأسئلة تحدد لنا من نكون، وفق الكاتبة.

تكتيكات إسرائيل للحرب وليس للسلام

في مقال له بصحيفة (غارديان) قال الكاتب جوناثان فريدلاند إن الزعامة الإسرائيلية انبهرت بقوتها العسكرية فأعماها ذلك عن الواقع السياسي, ما يعكس العادة الإسرائيلية المعروفة بالتعامل مع الأعراض وليس الأسباب, فهذا بلد يمتلك تكتيكات حربية وافرة لكنه يفتقد لأي تكتيك للسلام, على حد تعبير الكاتب.
واستعرض فريدلاند ما قال إنه جدل بين مؤيدي إسرائيل ومؤيدي حماس حول الذي أقدم على خرق الهدنة, مشيرا إلى أن السؤال المطروح هو «هل الذي تعمد إغلاق المعابر هو من خرق الاتفاق أم الذي رفض تجديد التهدئة؟».
وحاول الكاتب رصد السيناريوهات المحتملة لتطور الأمور في الصراع الحالي بين سكان غزة وإسرائيل, قبل أن يقول إن الهدف الإسرائيلي -كما يقول المتحدثون باسمها- ليس إثارة أنموذج عراقي عبر «تغيير النظام» بغزة وإنما تلقين حماس درسا يجعلها تحجم عن أي عمل عدائي جديد ضد الجنوب الإسرائيلي، ويسمح لتل أبيب بإبرام اتفاق مع السلطة الفلسطينية بالضفة الغربية, لكن الكاتب يرى أنه لو كان الهدف الإسرائيلي هو مجرد تأمين مناطقها الجنوبية فقد كان بإمكانها تحقيق ذلك عبر إنهاء الحصار على القطاع, أما إذا كانت تريد حد قبضة حماس على غزة فإنها -حسب الكاتب- سلكت الطريق الخطأ.
ونقل في هذا الإطار, عن المحلل الفلسطيني حسين آغا قوله إن إسرائيل واهمة إن كانت تعتقد أن ضربها لحماس بالحديد والنار سيجعل الشعب الفلسطيني يلوم هذه الحركة فيما يتعرض له.

إنقاذ إسرائيل و«حماس» من المأزق يحتاج جهداً عربياً ودولياً

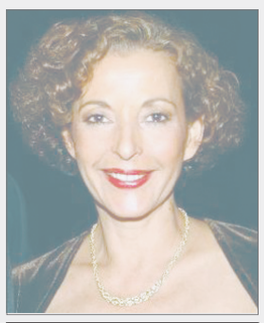

راغدة درغام

حفرت كل من إسرائيل و«حماس» مأزقاً لنفسها وللآخر تترتب عليه عواقب خطيرة بتصعيدها في غزة بلا هدف محدد ولا إستراتيجية خروج. كلتاهما تحتاج الآن للمساعدة والإنقاذ من الورطة، وإلا فإن تهورهما سيؤدي الى المزيد من هدر الأرواح البريئة وسيسفر عن حروب سائبة وإجراءات كارثية يجب ألا يُسمح بها. فلا إسرائيل ولا «حماس» ستتمكن من الانتصار في هذه الحرب، فقط نساء وأطفال غزة والأبرياء من المدنيين في طرفي النزاع هم الخاسرون.
«حماس» أخذت الفلسطينيين إلى حرب بلا استئذان ولا صلاحية وبلا تحضير وتهيئة. القادة الإسرائيليون فقدوا صوابهم مرة أخرى بشنهم حرباً لن يتمكنوا من إنهائها من دون ذبح المزيد من مئات المدنيين. «حماس» قد ترحب بغزو غزة كي تتمكن من اصطياد الجنود الإسرائيليين في الأرض التي يعرفها مقاتلو «حماس» جيداً. لكن قادة «حماس» يدركون أيضاً وجيداً أن مثل هذا التطور سيؤدي الى نهاية «حماس» كمنظمة سياسية وأن انتقام إسرائيل سيكون مكلفاً لجميع الفلسطينيين. ولذلك، أن التباهي والبهورة قد تم تقليصها. إسرائيل من جهتها لا تريد استعادة غزة ولا هي واثقة من قدرتها على إلحاق الهزيمة القاضية بـ «حماس»، إما عبر القصف الجوي أو عبر الغزو البري. وعليه، فإن إسرائيل، واقعياً، وقعت أسيرة مصيدة حرب تسرعت إليها وهي الآن تبحث عن إستراتيجية خروج منها. قادة إسرائيل و «حماس» على السواء تصرفوا وفي أذهانهم معطيات الانتخابات والسلطة عندما استدعوا بعضهم البعض الى التصعيد وتصرفوا على أساس احتياج مساهمات بعضهم البعض في طموحاتهم السياسية. كلتا القيادتين لربما رغبت في تغيير قواعد اللعبة على الأرض قبل تسلم الرئيس الأميركي المنتخب باراك أوباما، مهمات السلطة في 20 كانون الثاني (يناير). فإذا لم يباشر قادة العالم فوراً إلى خطط شجاعة وخلاقة وشاملة لمعالجة النزاع الإسرائيلي – الفلسطيني، سيؤدي الوضع في غزة ليس فقط إلى الانهيار التام لحل الدولتين وإنما أيضاً إلى انهيار السلطة الفلسطينية والى حالة فوضى عارمة لا يمكن الرهان على ضبط إفرازاتها.
أحد السيناريوهات المظلمة ينطوي على تصعيد كامل تستخدمه إسرائيل كذريعة لطرد جماعي للمواطنين الفلسطينيين داخل اسرائيل ضمن تحرك استراتيجي لمعالجة أزمة إسرائيل الديموغرافية المترتبة على مواطنية مليون فلسطيني في «الدولة اليهودية». وزيرة خارجية إسرائيل تسيبي ليفني كسرت طوق الصمت أخيراً وتحدثت علناً عن الحاجة إلى «دولة يهودية» من دون فلسطينيين. إجراءات «حماس» تخدم في تبرير مثل هذا الإجراء الذي يصعب تخيله في القرن الواحد والعشرين، فإعادة رسم الخريطة من شأنها أن تؤدي إلى إغلاق غزة تماماً ودفعها إلى أحضان مصر بالقوة – بكل ما فيها – وذلك كي تتحول «حماس» من مشكلة إسرائيلية إلى مشكلة مصرية. واندلاع الفوضى في الضفة الغربية يصبح العذر لإحياء ما يسمى بالخيار الأردني القائم على مزاعم «الوطن البديل» للفلسطينيين في الأردن.
أبعد من هذا الاحتمال الذي يصعب تصديقه والقائم على التنظيف العرقي وهو قطعاً لا أخلاقي، أن مثل هذا السيناريو لن يأتي أبداً على إسرائيل بالسكون مهما نصبت من جدران عزل. فقط حل الدولتين يمكن أن يؤمن العيش بسلام وطمأنينة للإسرائيليين. وحتى لو هُزمت «حماس» – هذا إذا هُزمت – فإنها ستبقى مصدر توتر للإسرائيليين وسيبقى قطاع غزة ككيان متطرف ومسلح جاراً مباشراً مهما تم اتخاذه من إجراءات لقطعه عن إسرائيل. ثم أن بروز اللااستقرار في مصر سيكون خطراً على إسرائيل لا سيما إذا حصدت إيران «فوائد» التطرف الإسرائيلي ونجحت في استخدام ورطة غزة لتقويض الحكومة المصرية.
إيران هي قائد محور «حماس» – «حزب الله» – سورية. العلاقات بين الجمهورية الإسلامية في إيران ومصر تدهورت بصورة ملحوظة. الأمين العام لـ «حزب الله»، السيد حسن نصرالله، دعا الشعب المصري والقوات المسلحة الى الانقلاب على الحكومة وحرضهما عليها بتهمة خذل الفلسطينيين. هذا التصعيد اللفظي قد يؤدي الى نتائج عكسية وينقلب على الناطقين به ويحيي الوطنية المصرية برفض التحريض والإهانة. إنما الانشقاق والخلاف السني – الشيعي قد يتضاعف ويطلق مستوى آخر من العنف وربما الحروب المتعددة.
لبنان يبقى صندوق «باندورا» للمفاجآت، مصيره تقرره، جزئيا، إيران التي لها السيطرة التامة على قرارات «حزب الله» بالحرب كونها مموله الأساسي بالسلاح.
سورية لم تقدم حدودها المشتركة مع إسرائيل للمتطوعين للمقاومة، لا اولئك الذين يتظاهرون في الشوارع العربية ولا أولئك الذين يدعوهم الملالي في طهران إلى التدريب في إيران.
قادة إسرائيل يخدعون أنفسهم وغيرهم بزعمهم أن اطلاق عملياتهم ضد «حماس» هو في مصلحة ولدعم المعتدلين العرب. انه هراء قاطع هذا التظاهر بدعم المعتدلين العرب فيما قادة إسرائيل يتجنبون ويتحايلون على كل فرصة لدفع وتقرير خيار التفاوض الذي تتبناه السلطة الفلسطينية.
وأقع الأمر أن الصراع بين السلطة الفلسطينية و«حماس» هو تماماً حول ما إذا كان الخيار الأفضل هو المفاوضات السلمية مع إسرائيل نحو حل الدولتين أو خيار الكفاح المسلح لتحرير فلسطين. إجراءات إسرائيل، وتهربها من استحقاقات التفاوض، هي التي وفرت ما يكفي من الذخيرة لأولئك الذين يتهكمون على المعتدلين العرب والتي قوضت حقاً الاعتدال. وفي هذا المنعطف، أن المعتدلين العرب لن يكونوا كبش فداء ولا منطقة عازلة بين «حماس» وإسرائيل.
ما يجب القيام به يتعدى غزة ويجب أن يكون عملاً جماعياً لقادة دوليين وإقليميين بغض النظر عن مستوى ووتيرة الخلافات والانقسامات. المطلوب أكثر من الدعوة إلى وقف النار والعودة الى «التهدئة». يجب على قادة ما يسمى بـ «الرباعية» أن يصيغوا خطة يمكن للرئيس المنتخب، أوباما، أن يجدها صالحة لتبنيها عندما يتسلم السلطة.
كثير من الحكماء والأذكياء في مختلف العالم يفكرون بعناصر خطة كهذه. بعض الأفكار يصب حصراً في خانة إنقاذ كل من «حماس» وإسرائيل من الورطة. آخرون يصرون على ان لا شيء ممكن ما لم يتم تدمير «حماس» وبنيتها التحتية عسكرياً، كنقطة انطلاق. هناك اقتراحات لإيفاد مراقبين دوليين عسكريين لمراقبة نقاط ومعابر فصل بين غزة وإسرائيل وبين غزة ومصر. هناك دعوات إلى شراكات أمنية في بناء نظام جديد للشرق الأوسط يضم دولا غربية وإسرائيل مع إيران وتركيا وباكستان.
الضروري في أي من السيناريوهات هو فهم كم هي المطالب للحل السلمي للنزاع غير معقدة. أية شروط مسبقة كتلك التي تشترط إيقاف العنف وتحميل السلطة الفلسطينية مسؤولية أفعال «حماس» والفصائل الفلسطينية الأخرى ستؤدي فقط الى تقويض وتبخر خيار التفاوض والآمال بالاعتدال. يجب ألا تكون هذه المسألة على نسق أيهما أولاً، الدجاجة أم البيضة.
أن السلطة الفلسطينية هي الشريك الشرعي لإسرائيل في الحل التفاوضي. يجب على إسرائيل أن تنخرط مع السلطة الفلسطينية، الممثل الشرعي المسئول عن الفلسطينيين، على صعيد المفاوضات بجدية، والشراكة في مراقبة المعابر الى غزة.
يجب على القادة الدوليين والإقليميين أن يعطوا فوراً الأولوية العليا للدفع بجدية بكل من إسرائيل والسلطة الفلسطينية إلى استكمال مفاوضاتهما بغض النظر عن أين تنتهي «حماس». لا مناص من المسؤولية الدولية في هذا المنعطف ان تمثلت في اجتماع عاجل لقادة إقليميين ودوليين أو في تحضير مدروس لمؤتمر دولي في موسكو أو في أية عاصمة أوروبية. فإذا ارتأت «حماس» ان تنقلب على نفسها وتوافق على الدخول طرفاً في تسوية سياسية، كان به. إنما مسؤولية إجراء وآستكمال المفاوضات هي من شغل السلطة الفلسطينية وليست من شغل «حماس».
فلا انخراط «حماس» ولا دمارها يجب أن يكونا شرطاً مسبقاً لنجاح المفاوضات. أن الشريك واضح وهو السلطة الفلسطينية التي، إذا انهارت، ستكون عواقب الانهيار مدمرة للفلسطينيين والإسرائيليين على السواء.
قد ينجح القصف الإسرائيلي بإقفال المعابر تحت الأرض وقطع أنفاس الناس ومقاتلي «حماس» على السواء بإغلاق المعابر أكثر وأكثر. انما هذا العقاب الجماعي سيرتد عليها. وقد حان الوقت لنظرة جدية الى الخيارات المتاحة، بنزاهة ومن دون اعتذاريه.
إسرائيل ترفض حل الدولة الواحدة حيث الشعوب متساوية وحيث ترتكز الديمقراطية إلى كل رجل صوت. بدلا من ذلك، يريد الإسرائيليون من العالم أن يبارك إسرائيل كـ «دولة يهودية» محضة حيث ليس لأي آخر مواطنية متساوية، هكذا الأمر بكل بساطة.
بعض القادة الإسرائيليين يؤمن أن حل الدولتين لن يعالج المشكلة الديموغرافية داخل دولة إسرائيل، لذلك يرفضونه. يريدون أن يكون الأردن الوطن البديل للفلسطينيين وأن يدفعوا فلسطينيي اسرائيل الى تلك الدولة بأية وسيلة ممكنة.
الأمر الوحيد الذي سيوقف مثل هذا الجنون من أن يتحول إلى واقع هو أن تقول الولايات المتحدة: هذا مرفوض قطعاً. ولقد حان الوقت الآن لهذه الـ «لا» أكثر من أي وقت مضى. ان إعادة الالتزام بأمن الأردن ودولته على مستوى الرئيس المنتخب أوباما بالغ الضرورة الآن، وكذلك، إعادة تأكيد الجدية الاميركية في التزامها بحل الدولتين.
كذلك، هنالك حاجة الى رسالة واضحة من الرئيس المنتخب باراك أوباما الى كل المعنيين – ايران وغيرها – بأن اللااستقرار في مصر مرفوض. فالأمر ليس متعلقاً بمحبة أو كراهية النظام الحاكم في مصر وانما هو حول ما من شأن اللااستقرار في مصر أن ينتجه. على واشنطن أن تضغط على نظام الرئيس حسني مبارك انما يجب عليها في الوقت ذاته أن ترسم الخطوط الحمر.
إيران في حاجة لأن تسمع من الإدارة المقبلة بأن الرئيس الجديد سيستمع وينخرط مع الجمهورية الاسلامية في ايران انما فقط على أساس توقفها عن التدخل والتخريب في فلسطين ولبنان ومصر. يجب ايصال الرسالة الى الملالي والثوريين الذين يحكمون في طهران بأن هناك شروطاً جديدة للانخراط مع ايران، وهي، ان على قادتها التوقف عن الدفع نحو الفوضى في جيرتهم العربية.
على القادة العرب ايضاً ان يتوقفوا عن انماط المزايدة عندما يتعلق الأمر بمسألة فلسطين. اولئك الذين يدعمون «حماس» في تبنيها خيار المقاومة المسلحة لإنهاء الاحتلال الاسرآئيلي لفلسطين يجب أن يقفوا علناً ليشهروا بأنفسهم – أن يفتحوا الحدود أمام المقاومة، ان يدفعوا السلاح الى «حماس»، أن يسحبوا اعترافهم بالسلطة الفلسطينية – والا، فليكفوا عن النفاق الذي يقتل المزيد من الفلسطينيين.
القادة العرب الذين يتبنون خيار المفاوضات السلمية يجب أن يجرؤوا على الوقوف بوضوح ضد «حماس» لاختطافها المدنيين الفلسطينيين رهينة في مغامراتها الفاشلة من أجل السلطة. عليهم أن يدعموا السلطة الفلسطينية بكل نشاط وأن يطلقوا حملة ديبلوماسية هجومية في أوروبا والولايات المتحدة لإبراز أخطاء اعفاء أي طرف في النزاع من المحاسبة والمسؤولية.
الرئيس المنتخب باراك أوباما يفضل بالتأكيد لو لم يتزامن تسلمه السلطة مع هذه الورطة ولو كان في وسعه التملص من الانجرار الى الطرق المزحلقة في دهاليز الشرق الأوسط. الآن، قد لا يكون أمامه خيار آخر. انما قد تكون هناك فرصة للرئيس الآتي ليقوم بصوغ قيادته في شأن هذه المسألة بدلاً من الانجرار للسير في خطوات يتمنى مختلف الأطراف أن ترسمها له. فإذا قام في طليعة الأمر بتعريف الهوامش بتوقيعه الشخصي وبخطوات جريئة يرسمها بنفسه، فإنه بذلك يقدم لنفسه وللعالم خدمة عظيمة .

عن صحيفة (الحياة)